الفصل الثاني

ما هي المنابع اليقينية للثالوث فى المسيحية ؟

الفصل الثاني

ماهي المنابع اليقينية للثالوث في المسيحية؟

أولاً: الأناجيل والثالوث

لمحة سريعة عن الأناجيل القانونية:

تعد الأناجيل القانونية لدى النصارى هي المنبع الأول والمصدر الأساس لمقولة التثليث، ومن بطونها يستخرجون النصوص للتدليل على صدق أقوالهم، ولما كان الأمر كذلك ـ ونحن في صدد البحث عن المنابع اليقينية للثالوث المسيحي ـ حق علينا أن نعطي لمحةً سريعةً عن هذه الأناجيل كاشفين النقاب من خلالها عن هوية كاتبيها، ومدى صدق نصوصها حتى يقف هؤلاء على شواطئ الحقيقة الغائبة عن عقولهم. ولا نقصد ونحن ننهج المنهج العلمي الهادئ لدراسة هذه الأناجيل أن نقيم دعوى بغير دليل، ولا نقول شيئاً يبلبل الأفكار ويحيرها بدون جدوى، لكننا نريد أن نبرهن على قول القرآن الكريم أن هؤلاء حرَّفوا الكلم عن مواضعه، وألبسوا الحق بالباطل، وهذا هو ما ذكرته الآية الكريمة المسطرة في سورة المائدة ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (١).

ومن الملفت للنظر أن البحوث العلمية الدقيقة التي جاءت على يد الكثير من علماء النصارى كأمثال سيبنوزا في كتابه (اللاهوت والسياسة)، وجيمس فريزر في كتابة (الفلكور في العهد القديم)، وموريس بوكاي في كتابة (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) هي التي برهنت على هذا التحريف، وجثت بركبتيها ساجدة أمام حقائق القرآن وصدق آيه

(١) سورة المائدة بعض آية ١٣.

الكريم. وانطلاقًا من هذه الحقائق القرآنية نعرض لتحقيق تاريخ الأناجيل المعتمدة ولن نذهب لغير المعتمدة، وهي كثيرة كما يقول الأستاذ محمد فريد وجدي في دائرة معارفه[٢]، ولكنها تاهت في غياهب الظلام.

الأناجيل وتحريرها

يذهب علماء المسيحية إلى أن الإنجيل (يطلق ويراد به بشارة المسيح الخلاصية، لأنها الحقيقة المفرحة) [٣] كما يقول القس إبراهيم لوقا: (كما يطلق ويراد به كل سفر يتضمن أعمال المسيح وتعاليمه، أو ترجمة حياته كما في بشائر (أناجيل) كلاً من متّى ومرقص ولوقا ويوحنا) [٤]. ويرى بعض علماء الغرب أن هذه الأناجيل لم تسطر حياة المسيح كاملة. وإنما كانت عبارة عن تجميع لموضوعات تناقلتها الكنيسة شفاهًا في أول الأمر، ثم كتبت فيما بعد وصنفت لتحقيق مطالب الكنيسة. ولذا يقول نينهام: (إن كتبة الأناجيل لم يخبرونا بأي شيء عن هيئة يسوع وبنيته الجسمية وصحته، وهل تزوج أم لا، ولم يعطونا معلومات محدده عن طول فترة دعوته)[٥].

وبناء على هذه الأقوال يتبين لنا أن الأناجيل التي تحمل سيرة المسيح لم تكن أبدًا قصة كاملة لحياة المسيح، ولعل السبب في ذلك هو أن أصحابها كتبوها في فترة بعيدة عن بعثه هذا الرسول. ولذلك يقول الأستاذ موريس بوكاي عن ظهور هذه الأناجيل الأربعة: (إنها لم تكن كلاً واحدًا إلا بعد أكثر من قرن من انتهاء بعثة المسيح، ولم يتم هذا في وقت مبكر جدا كما يقال، والترجمة المسكونية ترجع إلى عام ١٧٠م تقريبًا، وهو التاريخ الذي

(٢) راجع دائرة معارف القرن الرابع عشر ١ / ٦٥٥، ط ٢، محمد فريد وجدي.
(٣) المسيحية في الإسلام ص ٤٢.
(٤) الأسفار المقدسة ص ٢٥٣، د. صابر طعيمة.
(٥) انظر المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٤٥.

اكتسبت فيه الأناجيل صفة الأدب الكنسي، أما الدعوى التي تصف كُتَّاب الأناجيل بأنهم رسل لم تعد مقبولة اليوم)[٦]. وهذا القول الذي جاء على لسان الأستاذ بوكاي ينبه إلى الأمور التالية:

١. أن هذه الأناجيل سطرت في أواخر القرن الثاني الميلادي. ولذا لم تكن قريبة الصلة بالمسيح.

٢. أن هذه الأناجيل لا يصح أن توصف بالقداسة والعصمة. بل أفضل وصف لها أنها كتب أدبية.

٣. أن القول بأن كُتَّاب الأناجيل رسل وأنبياء أمر مرفوض باسم البحوث العلمية الصحيحة التي دأبت على دراسات عن كتَّاب الأناجيل في عصرنا الحديث. ويبدو أن وجهة نظر كاتبنا التي لا ترضى أن تسلم بها الكنيسة لها نظير عند الكثير من علماء المسيحية الذين نظروا إلى هذه الأناجيل التي تسمى بالعهد الجديد نظرة علمية دقيقة فوجدوها عبارة عن كتاب تاريخي غير دقيق، كتبه أناس في فترات مختلفة، فأخذوا يهتفون مع فردريك جراند الذي قال وما أصدق ما قال:

(إن العهد الجديد كتاب غير متجانس، ذلك أنه شتات مجمع، فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره، لكن في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة)[٧]. وإذا كان الأمر كذلك فإننا نتسأل ونقول: من هم أصحاب وجهات النظر المختلفة هذه، والذين بلبلوا الفكر المسيحي عبر القرون؟ ومتى وكيف حرروا هذه الأناجيل؟

---

(٦) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٨٦.

(٧) نقلاً عن كتاب مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٤٧، الرياض - المملكة العربية السعودية.

أولاً : إنجيل متّى - المؤلف والكتاب:-

يفاجئنا النصارى أن إنجيل متّى - وهو أول الأناجيل ترتيبًا لديهم - هو الذي يحمل النص اليقيني عندهم عن التثليث، وإذا كنا سنناقش هذا النص بجوار نص يوحنا الذي يحمل هو أيضًا صيغة التثليث في ضوء الترجمات الحديثة فيما بعد، فلابد لنا أن نسأل من هو متّى هذا؟ وكيف كتب إنجيله؟

ولقد ذكر المؤرخون: (أن متّى أحد الحواريين، مات سنة ٧٩ م ببلاد الحبشة)[٨]، وهو مايعتقده المسيحيون على مر الدهور. بيد أن الدارسات العصرية المهتمة بدراسة الكتب المقدسة ومؤلفيها نفت هذا الادعاء، وانتهت نتائجها إلى أن متّى صاحب الإنجيل ليس هو الحواري رفيق المسيح في دعوته، ومعتمد هذه الدراسة على اللغة التي كتب بها الإنجيل (حيث قيل: إنها اللغة العبرية، وذهب الأستاذ ميشيل جرجس إلى أنها الآرامية، بينما رأى جيروم وابن البطريق أن متّى كتب الإنجيل باللسان العبري في بيت المقدس للمؤمنين من اليهود)[٩]. وأمام هذه الآراء المتضاربة والتي لم توضح بصراحة اللغة التي كتب بها الإنجيل لم يعرف اسم المؤلف، ولذا أخذ موريس بوكاي بعد دراسة جادة لهذه الشخصية يكتب قائلاً:

(لنَقُلْ صراحة أنه لم يعد مقبولاً اليوم بأن متَّى أحد حواريي المسيح. ثم أخذ الأستاذ بوكاي يوضح ويفصح بهدوء عن شخصية الكاتب قائلاً: إن هناك نقطة لا خلاف فيها وهي أن الكاتب هذا يهودي فمفردات كتابته فلسطينية، أما التحرير فيوناني)[١٠].

---

(٨) المسيحية ص ٢ . ٩ . أحمد شلبي.

(٩) يا أهل الكتاب تعالوا ص ١٤٩، د. رؤوف شلبي.

(١٠) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٨١.

ومع (أن هذه النسخة اليونانية قد ضاعت)[11] ـ كما يقول الدكتور رؤوف شلبي ـ إلا أننا نقف أمام قول بوكاي أن الكاتب يهودي، ومعنى كونه يهودي، أيْ رجل في إمكانه أن يؤلف بفكره حبكة كلامية وفيرة، ويضعها في كتاب منسوب إلى أحد حواريي المسيح في سبيل إفساد المسيحية. ويقرب قولنا هذا من الصدق إذا ما علمنا أن اليهود كانوا على عداوة مستمرة مع المسيح وأصحابه، وبهذا يعترف النصارى أنفسهم. ولا أشك أن هذا الرجل اليهودي كان ذو فكر واسع يستطيع به أن يسرد الأحداث سردًا أدبيًا، ومن خلالها يضع السم ـ كما يقال ـ في العسل. ولنقرأ ما سطره هذا الكتاب في الأحداث التي واكبت موت المسيح وعنها يقول: (وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين. . .)[12]. وهذه العبارة ذاتها لم تكن في وسع متّى الحواري، صاحب الثقافة البسيطة، والذي عرّفه لنا أتريكو(بأنه كان عشارًا أو جابيًا بمكتب الضرائب بكفر الناحوم، والذي دعاه المسيح ليكون أحد تلاميذه)[13].

أقول: إن هذه العبارة لم يكن في مقدور هذا الموظف البسيط أن يدلي بمثلها، وأيضًا لما كانت العبارة ذاتها بجوار عبارات أخرى تحتاج إلى مناقشة وفيرة، نذكر منها على سبيل المثال: كيف خرجت أجساد القديسين؟ وأنى كان لها ذلك؟ ومن قابلتهم؟ ولمَ قام هؤلاء القديسين ولماذا لم يقوموا قبل قيامة المسيح؟ إلى غير ذلك من الأقوال والأسئلة التي تحطمها، فمعنى هذا أن القول دخيل ولم يعرف من قائله حتى يوم الناس هذا.

(١١) يا أهل الكتاب تعالوا ١٤٩ .
(١٢) إنجيل متّى إصحاح ٢٧، الأعداد (من ٥١-٥٣).
(١٣)دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٨٢.

تحرير الإنجيل ومكانه:

قيل في وقته (إنه ما بين عامي ٦٠-٧٠ ميلادي)[١٤]، وهذا رأي صاحب الكنز الجليل، وقيل: (كتب في الفترة ما بين ٨٥-١٠٥ ميلادي)[١٥]. وهذا ما جاء في كتاب مصادر العقائد المسيحية. أما المكان فلم يعرفه أحد. هل هو فلسطين أم أنطاكية أم غيرها من البلاد. وكلها أمور مرتبطة بصاحب الكتاب ذاته الذي أثيرت حوله الشكوك، ولما يكون الأمر كذلك تقل القيمة العلمية لأي كتاب، فما بالنا إذا كان هذا الكتاب لدى القوم مقدس، ومنه يستخرجون نصوص عقائدهم.

ثانياً: إنجيل مرقس - المؤلف والكتاب:

وكما تناحرت الآراء المسيحية حول شخصية متّى مؤلف الإنجيل لتكشف النقاب عنه وتبين أنه هو الحواري أم لا، كان الأمر ذاته حول إنجيل مرقس ومؤلفه، فلم يدْر أحد حتى اليوم من هو مرقس كاتب الإنجيل؟ والآراء الكنيسية لا تنقطع عبر القرون عن هذا السؤال، الأمر الذي يجعلنا نحكم بأن الشخصية وهميّة ولا وجود لها في المسيحية الأولى، ويرافقنا في هذا الرأي الكثير من علماء الغرب، وعلى رأسهم نينهام الذي صرح عن حقيقة مرقس قائلاً: (لم يوجد أحدٌ بهذا الاسم عرف على أنه له صلة وثيقة وعلاقة خاصة بيسوع، أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى. ثم يقول نينهام - وهو ممن يعتنقون المسيحية -: ومن غير المؤكد صحة القول المأثور الذي يحدد مرقس كاتب الإنجيل بأنه يوحنا مرقس المذكور في أعمال الرسل ١٢/ ١٢، ٢٥ ... وفي رسالة بطرس الأولى ٥ : ١٣ . . . وفى

(١٤) الكنز الدليل في تفسير الإنجيل لصاحبة وليم إدي الأمير كاتي ص ٣ ج١ نقلا عن كتاب الأسفار المقدسة قبل الإسلام ص ٢٥٦ ، د. صابر طعيمة.

(١٥) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٦٢.

رسالة بولس ـ كولوسى ٤ : ١٠ ، تيموثاوس ٢ـ ٤ ـ١١ . . . ثم يستطرد قائلاً : لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن يفترض أن جميع الأحداث التي ترتبط باسم فرد ورد ذكره في العهد الجديد إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم ، ولكن عندما نتذكر أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعًا في الإمبراطورية الرومانية . . . فعندئذ نتحقق من مقدار الشك في تحديد هذه الشخصية في هذه الحالة) (١٦) .

فهذا مسيحي وباحث عصري أنصف القول من نفسه ، وبيّن أن هذه الشخصية لا محل لها في الواقع المسيحي الأول ، والملاحظ لدى أصحاب الكتب المسيحية الوفيرة أنهم يدّعون معرفة مرقس (ويقولون : إنه يهودي من بيت لاوى ، وتتلمذ على بطرس الرسول ، ومات مقتولاً كما جاء في سفر الأعمال ، وكان قتله على يد الوثنيين في عهد نيرون)(١٧) . أقول : حتى وإن صدق مدّعاكم إلا أنكم لم تعرفوا من كتب الإنجيل هل هو بطرس أم مرقس؟

فها هو ابن البطريق يقول : (إنه في عصر نيرون كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقس عن مرقس بالرومية في مدينة روما ، ونسبه إلى مرقس)(١٨) . ويرى بعض المسيحيين(أن هذا الإنجيل قد دُوِّن بعد وفاة بطرس)(١٩) .

وكلا الرأيين من وجهة نظرنا لامحل لهما من الصحة ؛ لأننا إذا نظرنا إلى ما قاله الرأي الأول نجده يتنافى والواقع ؛ لأن النصارى يعرفون جيداً أن بطرس أستاذ لمرقس ، فكيف يكتب هذا الأستاذ عن تلميذه؟ فلابد أيضا أن يكون له كتاب ، فأين هو؟ أما الرأي الثانى وهو الذي يقول بأن الإنجيل دُوِّن

(١٦) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٥٢ .
(١٧) انظر الأسفار المقدسة قبل الإسلام ص ٢٥٨ .
(١٨) ابن البطريق ١ / ٤٤ .
(١٩) انظر يا أهل الكتاب ص ١٥٦ .

بعد بطرس أي بيد مرقس، فنقول ما قلناه سالفًا: من هو مرقس؟ ومن يثبت لنا شخصيته؟

تاريخ التدوين ومكانه:

(بالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل فإنه غالبًا ما يحدد في الجزء المبكر من الفترة ٦٥-٧٥، وغالبًا في عام ٦٥، ٦٦م، ويعتقد كثيرٌ من العلماء أن ما كتبه مرقس في الإصحاح ١٣ قد سطر بعد عام ٧٠. أما عن مكان التدوين فالبعض يرى أنه أنطاكية أو مصر أو روما)[٢٠]. والرأي الشائع أنه جاء من روما، وبهذا لا يعرف من هو مرقس ولا متى، وأين كتب إنجيله؟.

ثالثا: إنجيل لوقا - المؤلف والكتاب:

من افتتاحية هذا الإنجيل والذي يقول: (إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة رأيتُ أنا أيضًا - إذ قد تتبعت أنا كل شيء من الأول بتدقيق - أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفليس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به)[٢١].

من هذا القول نعلم أن هذه الكتابة التي يقوم بها صاحب الإنجيل كتابة شخصية مثله مثل غيره من الكتاب، (ولم يدَّع الرجل في رسالته أنه كتبها بإلهام أو مسوقًا من الروح القدس، أو أنه كتبها لأنها الحق المقدس، بل إنه يقرر صراحة أن معلوماته جاءت نتيجة لاجتهاده الشخصي؛ لأنه قد تتبع كل شيء من الأول بتدقيق)[٢٢]. وهذا كله ينفي القداسة التي ألقاها على إنجيله أهل الثالوث.

---

(٢٠) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٥٣.
(٢١) لوقا ١/ ١-٥.
(٢٢) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٦٢.

تاريخ التدوين ومكانه:

(ولقد تطرق الشك إلى تاريخ تدوين هذه الأناجيل أيضًا، فالدكتور بوست يرى . . . أنه كتب ما بين عام ٥٨ـ٦٠ . أما هورن فيرى أنه كتب سنة ٥٣، أو سنة ٦٣٠ أو سنة ٦٤) [٢٣]، كما لم يعرف مكان الكتابة على وجه التحديد .

رابعًا: إنجيل يوحنا - المؤلف والكتاب:

يختلف هذا الإنجيل عن الأناجيل الثلاثة اختلافًا جيدًا لدرجة أن الأب روجي وصفه بأنه عالَم آخر [٢٤]. ويبين الأستاذ فتحي عثمان سبب اختلاف هذا الإنجيل عن غيره فيقول: (إنه ليس ترجمة ليسوع بقدر ما هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية، بوصفه كلمة الله وخالق العالم ومنقذ البشر، وهو الإنجيل الذي تضمنت نصوصه ذكرًا صريحًا لألوهية المسيح)[٢٥]. ولما كان القول بالمسيح الإله في القرون الأولى للمسيحية أمر مرفوض كان هذا الإنجيل بنصوصه مدار استنكار لكثير من الفرق المسيحية .

ونفى أرباب هذه الفرق الادّعاء الذي يقول بأن الحواري يوحنا الصياد هو كاتب هذا الإنجيل، بَل قيل على لسان (أستا دلين كما يقول صاحب إظهار الحق: أن كاتب إنجيل يوحنا طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية بلا ريب) [٢٦]. إذن فالكاتب ليس هو يوحنا الحواري، بل رجل فيلسوف تخرج من هذه المدرسة التي لعبت دورًا خطيرًا في إخفاء عقيدة التوحيد من المسيحية؛ ولذا اعتبرت دائرة المعارف البريطانية هذا الإنجيل مزورًا وباطلاً

(٢٣) محاضرات في النصرانية ص ٥٧ .
(٢٤) انظر دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٩٠ .
(٢٥) مع المسيح في الأناجيل الأربعة ص ١١٩، الدار القومية للطباعة والنشر .
(٢٦) راجع إظهار الحق ص ٩٩، تحقيق الدكتور السقا .

ثم قالت: (إن صاحب الكتاب أراد مضادة اثنين من الحواريين أحدهما للآخر، وهما القديسان متّى ويوحنا، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في هذا الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاّتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا...

وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني - بالحواري يوحنا الصياد الجليلي)[٢٧].

وبناء على هذا القول يتبين لنا أن نسبة هذا الإنجيل ليوحنا الصياد ليس مقطوعًا به، وأقل ما فيه أنه يبيح للناظر في نصوصه أن يكون على حذرمن جهتها، ولا يأخذ قضاياها مأخذ التسليم. وما يجري على إنجيل يوحنا يجري على رسائله الثلاث التي يضمها العهد الجديد؛ لأن الاسم الموضوع على هذا الإنجيل وتلك الرسائل اسم لا يعرف من صاحبه حتى الآن.

تدوين الإنجيل:

ولم يعرف أحد حتى الآن متى وأين دُوِّن هذا الإنجيل على وجه التحقيق، (بل قيل إنه من المحتمل كتابته في إنطاكية أو إفسس أو الإسكندرية أو حتى روما، فإن كلاً من هذه المدن كان مركزاً عالمياً للدعاية العقائدية في القرن الأول والثاني)[٢٨]. ونميل إلى القول بأنه كتب بالإسكندرية، لأن افتتاحية هذا الإنجيل فلسفية، وهي طابع هذه المدرسة.

---

(٢٧) نقلاً عن محاضرة في النصرانية ص ٥٨ - ٥٩، دار الفكر العربي.

(٢٨) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٧٠.

الخلاصة:

والخلاصة التي تنتهي إليها بعد إعطاء هذه اللمحة السريعة عن الأناجيل القانونية يمكن إيجازها في الآتي:

أولاً: أن هذه الأناجيل المقدسة نصوصها عند أهل الثالوث ما هي إلا كتب مؤلفة بكل معنى الكلمة، وهي تبعًا لذلك لا توصف بالعصمة بل معرضة للصواب والخطأ، لأنها كتبت بيد أناس مجهولين، وفي أماكن غير معلومة، ونفي العصمة عنها أصبح مسلَّمًا به ولا جدال (ولذا كانت صحة أي نص من الأناجيل حتى أكثر النصوص احترامًا ـ كما يقول بوكاي ـ قابلة دائمًا للنقاش) [٢٩]

ثانيًا: أن النصارى وإن لم يسلّموا بأن كتَّاب الأناجيل ليسوا من الحواريين ولا التلاميذ، فلابد أن يسلّموا بأن هذه الأناجيل قد تعرضت على مر القرون لليد الإنسانية التي لعبت دورًا خطيرًا في تزييف النصوص، وعملت على المحو والإثبات لكثير منها، وإلا فما معنى البيان الذي أصدره المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان سنة ١٩٦٥م، والذي أورده لنا الأستاذ موريس بوكاي وهو يقول بكل أسف: (إن الكتب المسيحية تحتوي على شوائب وشيء من البطلان)[٣٠]. هل حقا الكتب المقدسة بها هذا البطلان؟إن كان الأمر كذلك فإن البداهة العقلية تقول: إن ما بني على باطل فهو باطل، إذن فالكتب القانونية المسيحية كتب من أولها إلى آخرها تخضع لهذا الحكم، ونحن لم نفرض حكم كهذا بل الذي فرضه وأعلنه على أسماع البشرية في جوانب المعمورة الأربعة هم قساوسة النصارى المجتمعون في الفاتيكان بأغلبية ساحقة (حيث صَوَّت على صحته ٢٣٤٤

(٢٩) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٠١.

(٣٠) انظر المصدر السابق ص ٦٠.

صوتًا ضد ٦ أصوات)[٣١]. وأمر كهذا لابد أن يطير بذاكرة كل عاقل عبر الأزمنة ليصل بعد أربعة عشر قرنًا من الزمان إلى أرض مكة التى انتصب تحت سمائها منبر الإسلام، والذي اعتلى أدراجه محمد عليه الصلاة والسلام، ومن فوقه أشار بإصبع الاتهام إلى هؤلاء القوم الذين للنصوص زيفوا، وللحقيقة ضيعوا، وكان السبب في ذلك هو النسيان الملازم لعقولهم، ولذا سوف ينبئهم الذي لاتخفى عليه خافية يوم القيامة بما صنعوا وبدلوا. قال عز شأنه:

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[٣١].

هذا وسوف نتعرض في السطور التالية إن شاء الله إلى النصوص التي يتخذها النصارى في العهد الجديد بمثابة إثبات على صحة الثالوث، وذلك في ضوء العقل والترجمات الحديثة.

النصوص التي تدل على التثليث في العهد الجديد ومناقشتها

تقول خاتمة إنجيل متّى: (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس.)[٣٢]. ويقول يوحنا: (فإن الذين يشهدون في السماء ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد.)[٣٣]. هذان النصان من أهم النصوص التي يعتمد عليها النصارى في التثليث وصحته، وإذا كنا سلفًا قد علمنا أن الأناجيل، وبقية الكتاب

(٣١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٦٠.
(٣١) سورة المائدة آية ١٤. (٣٢) إنجيل متّى إصحاح ٢٨/ ٢٩.
(٣٣) إنجيل يوحنا إصحاح ٥/ ٧.

القدس يحتوي على كثير من النصوص الباطلة، وذلك باعتراف أكابر النصارى في الفاتيكان سنة ١٩٦٥ م فإن هذين النصين اللذَين تقوم عليهما عقيدة التثليث في المسيحية كانا أيضًا مدار ريب وشك لدى العلماء على مر القرون، ولا أقول علماء المسلمين فحسب؛ لأنهم يوقنون أن العقيدة ذاتها باطلة، بل أقول علماء المسيحية أنفسهم، وعلى رأسهم «أدولف هرنك» الذي نظر إلى عبارة متّى الأولى وأعتبرها دخيلة على المسيحية، ويرجع السبب في ذلك كما يقول هرنك إلى الآتي:

أولاً: لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقي مواعظ ويعطي تعليمات بعد أن أقيم من الأموات، وأن بولس لا يعلم شيئًا عن هذا.

ثانيًا: أن صيغة التثليث هذه (التي تتكلم عن الأب والابن والروح القدس غريب ذكرها عن لسان المسيح، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل، وهو الشيء الذي تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصياً)[٣٤]. ومن كلام هرنك يتضح لنا أن المسيح عليه السلام إن كان قد تحدث بهذه العبارة فإن ذلك كان بعد ذهابه من الدنيا وانقطاع الحياة عنه كما يقولون.

وأمر كهذا لا يمكن أن يصدق ولا يعقل أن يحقق، ومن عنده مسكة عقل في إمكانه أن يطرح عددًا وفيراً من الأسئلة أمام هذا الحدث الخطير منها: لماذا يترك المسيح هذا القول المتعلق بعقيدة يدين بها أتباعه من بعده طيلة حياته ثم بعد ذهابه يأتي ويتحدث به؟ وما الذي منعه من إبلاغ هذه العقيدة لأصحابه؟ وما الذي جعل أصحابه لا يعرفون هذه الأقوال؟.

إن المسيح والحالة هكذا إما أن يكون ناسيًا أو ليس ناسيًا: فإن كان ناسيًا

(٣٤) المسيح في مصادر العقائد المسيحية خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب ص٦١.

فلا يستحق أن يكون رسولاً فضلاً عن كونه إلهًا، فالرسل إذا ما ثبت نسيانهم - وهو عليهم محال - تطرق الشك إلى كافة أقوالهم؛ لأنهم بذلك لا يبلغون كل ما أمروا به، والتبليغ صفة من صفات الأنبياء، بجوار الصدق والأمانة والفطنة، ولذلك أخبر رب العزة جل في علاه نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام بالقيام بمهمة التبليغ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه﴾[٣٥]. وأنتم تقولون إن عيسى ليس رسولاً فحسب، بل هو إله فهل يعقل أن الإله ينسى ما يأمر به البشر. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وإن كان المسيح قد بلغ ذلك في حياته لأصحابه وحواريه فما الذي منع هؤلاء من تبليغ الناس بما أرسلوا به؟ إن متّى صاحب الصيغة لم يفصح في إنجيله عن هؤلاء بأنهم عمدوا الناس بهذه الأسماء، أو أن المسيح قال لهم ذلك في حياته، وعلى فرض أنه قام حقًا من بين الأموات ونطق بها أمام حواريه فإنها لا تصلح أن تكون أساسًا لعقيدة أو دعوة إلى نشر التثليث؛ لأن العبارة إن صدقت فإن معناها حينئذ سيكون عمدوهم باسم الله، وباسم رسوله عيسى، وباسم جبريل، ويتحقق هذا المعنى الذي ذكرناه إذا علمنا أن بطرس شيخ التلاميذ كان لا يعمد بهذه الأسماء الثلاثة بل يعمد باسم يسوع فقط، (فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح)[٣٦].

إذًا فالعبارة التي ساقها متّى في إنجيله لا تدل على التثليث كعقيدة من قريب أو بعيد.

---

(٣٥) سورة المائدة بعض آية ٦٧.

(٣٦) أعمال الرسل ٢/ ٣٨.

صيغة التثليث عند يوحنا كما تراها الترجمات الحديثة:

وردت هذه الصيغة عند يوحنا أو كانت تعتبر النص الثاني في الكتاب المقدس الذي يعطي الأساس لعقيدة التثليث التي تقول بأن الأب والكلمة والروح القدس واحد، لكن التراجم الحديثة للكتاب المقدس حذفتها باعتبارها نصًا دخيلاً أقحمه كاتب مجهول منذ قرون. ولقد بين لنا ذلك صاحب كتاب «حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر» قائلاً: (إن إرازموس حين طبع العهد الجديد الإغريقي ونشره عام ١٥١٦م قد حذف منه أقوى نصوص التثليث ـ كما في يوحنا ٥/ ٧ ـ، ولقد أشار لوثر إلى التثليث على أنه تعبير يفتقد القوة وأنه تعبير لم يوجد في الأسفار)[٣٧].

ولقد جاء في كتاب «هل الكتاب المقدس حقًا كلمة الله» الذي طبع في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٩م ثم في بيروت العربية سنة ١٩٧١م، ويوزع كرسالة تبشيرية بين المسلمين جاء في صفحة ١٦٠ ما نصه: (بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة، باعتناء يتمكن العلماء من اقتلاع أية أخطاء ربما تسللت إليها، مثالاً على ذلك الإدخال الزائف في يوحنا الأول الإصحاح الخامس فالجزء الأخير من العدد٧، والجزء الأول من العدد ٨ يقول حسب الترجمة البروتستنتية العربية طبع الأمريكان في بيروت: (ونقرأ في الترجمة اليسوعية شيئًا مماثلاً): "في السماء الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة ". ولكن طوال القرون الثلاثة عشر الأولى للميلاد لم تشتمل أية مخطوطة يونانية على هذه الكلمات وترجمة «حريصا» العربية تحذف هذه الكلمات كليًا من المتن.

والترجمة البروتستنتية العربية ذات الشواهد تضعها بين هلالين( )

(٣٧) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ١١٥، مهندس أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة.

موضحة في المقدمة أنه ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها، وهكذا تساعدنا الترجمات العصرية للكتاب المقدس على الوصول إلى المعنى الصحيح لما نقرأه)[٣٨].

وهذا القول المسطور في الكتاب المذكور كان ميلاده في أكبر دولة مسيحية في العصر الحديث وهي الولايات المتحدة الأمريكية، وهو في حد ذاته لا يجب أن يمر علينا هكذا مر الكرام، بل يجب أن تلفت إليه الأذهان ـ أقصد أصحاب الثالوث ـ لأنه قول خطير يتعلق بالعقيدة عندهم، ولو ثبت لهذا القول الصدق والتأكيد فمعنى هذا أن العقيدة الثالوثية قامت في المسيحية قرونًا طويلةً على نص مزور ودخيل، ولا يصح للقوم أن يبنوا عقيدتهم عليه وليبحثوا لهم عن نص آخر إن وجدوا.

ومن أجل البحث عن صدق هذا القول سأعرض النص الموجود في الترجمة العربية للكتاب المقدس والتي نشرها الآن دار الكتاب المقدس بالقاهرة، والمتداولة بين الأيدي المسيحية في مصر سنة ١٩٨٧م وبقية الترجمات في مختلف اللغات. تقول هذه الترجمة في الإصحاح ٥ العدد ٧ ، ٨ ـ ١يوحنا.

١- (فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة واحد، والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم، والثلاثة هم في الواحد[٣٩]).

٢- (تقول ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك: (لأن الشهود في السماء ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس هؤلاء الثلاثة واحد، والذين يشهدون في الأرض ثلاثة الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة واحد[٤٠]).

---

(٣٨) نقلاً عن كتاب مناظرة بين الإسلام والنصرانية ٣٩ ، الرياض / المملكة العربية السعودية.

(٣٩) يوحنا إصحاح ٥/ ٧ ، ٨.

(٤٠) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ص ٤٠ ،اللواء / أحمد عبد الوهاب.

٣-وتقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت : (فإن الذين يشهدون (في السماء) هم ثلاثة(الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة) . الروح والماء والدم والثلاثة هم في واحد) . وإذا رجعنا إلى التنبيه الذي وضعته هذه الترجمة في مطلعها نجده يقول في الكلمات التي توضع بين هلالين أو قوسين مايلي :

(والهلالان ( ) يدلان على أن الكلمات التي بينها ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها)[٤١] . أي أن صيغة التثليث هذه فقرة مزيفة من عمل كاتب مجهول . وهنا نرى أن الترجمة البروتستانتية وإن سجلت بين سطورها هذه الصيغة إلا أنها صيغة دخيلة على الكتاب المقدس عندهم .

٤- (وتقول ترجمة العهد الجديد للكاثوليك) :

والذين يشهدون ثلاثة (٧) .

الروح والدم والماء وهؤلاء الثلاثة متفقون (٨) .

ثم تقول الحاشية السفلى تعليقا على العدد (٧) :

(في بعض الأصول : الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . لم يرد ذلك في الأصول اليونانية المعول عليها والأرجح شرح أدخل إلى المتن في بعض النسخ) . [٤٢]

---

(٤١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ٤٠ .

(٤٢) المصدر السابق ص ٤٠ .

وهذا هو ما تقوله أيضاً ترجمة العهد الجديد للمطبعة الكاثولوكية سواء بالنسبة إلى المتن أم للحاشية، وهي بهذا تصرح بأن النص دخيلٌ ولا يصح كتابته (وإذا انتقلنا إلى كتاب حقيقة التبشيريين الماضي والحاضر نجد أن صيغة التثليث هذه تظهر في ترجمة الملك جيمس الإنجليزية المعتمدة للكتاب المقدس (Authorisd-Version) [43].

والتي نشرت أول مرة سنة ١٦١١م وهي تقول:

(إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة واحد). [٤٤]

(والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد) [٤٥]

بينما نجد هذه الصيغة تختفي تمامًا من الترجمة الإنجليزية الحديثة المعروفة باسم " النسخة القياسية المترجمة " للكتاب المقدس.

والتي نشرت لأول مرة سنة ١٩٥٢م ثم توالت طبعاتها في نصوص تلك الفقرة، ولذلك نراها تقول: (الروح هو الشاهد؛ لأن الروح هو الحق).

(يوجد ثلاثة شهود: الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون) [٤٦].

---

(٤٣) راجع حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ١١٧ ، ص ١١٨.

(7) For the here are three . Iha I bear . record. In heven, the fathere, Iheword,and. The Holychost and these Ihree are one.

(8) And there are three that bear witness in earth, the spirit, and the water and the blood and these three agree in one.

(٤٦) المصدر السابق ص ١١٨ ، ص ١١٧.

(7) And the spirit is the winess because . the . spirit is the truth .

(8) There are thee witn esses,the spirit , the water and the bIood and three agree

نقلاً عن المصدر السابق ص١١٧، ١١٨..

من ذلك يتبين بوضوح أن نص العدد(٧) في نسخة الملك جيمس الذي يتكلم عن شهود السماء " الأب والكلمة والروح القدس " ويقرر أن " الثلاثة هم واحد " إنما هو نص مزور أدخل ظلمًا بين النصوص الأصلية للعددين(٧، ٨)، واستمر يعطي الأساس الوحيد لعقيدة التثليث عبر القرون إلى أن استيقظت الضمائر أخيرًا فتم حذفه في محاولة متأخرة جداً لإصلاح ما فات بعد أن هلكت ملايين وملايين من البشر، وهي تؤمن به نصًا مقدسًا في كتابها المقدس. وإذا انتقلنا إلى الترجمة الفرنسية الحديثة للكتاب المقدس T.O.B نجد أن هذه الصيغة تختفي تمامًا من بين سطورها وتترجم هكذا:

(والذين هم ثلاثة يشهدون).

الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة مجتمعون في الشهادة الفريدة، وبذلك يكون العدد٧ في هذه الترجمة الفرنسية مغايراً تماما لنظيره في ترجمة البروتستانت الشائعة الاستخدام، إذ إنه في الترجمة الفرنسية خال تمامًا من صيغة التثليث المعروفة " الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد) [٤٧] (مما تقدم نجد أن صيغة التثليث التي أوردها يوحنا في الإصحاح الخامس قد اختفت تمامًا من التراجم الفرنسية الحديثة التي ظهرت على الملأ منذ أكثر من ٧٥ عامًا، كما أنها اختفت من التراجم البروتستانتية الحديثة التي ظهرت منذ أكثر من ٤٠ عامًا، بينما هي لا تزال في الترجمة العربية للكتاب المقدس للبروتستانت، لكنها وضعت بين هلالين للدلالة على عدم أصالتها، كذلك اختفت من التراجم الكاثوليكية العربية الحديثة) [٤٨].

(7) C' est anus sont Irois arerdre temoign age
(8) L' espret, I, aevet Le sanget cestrois. Convergent. Clans I . uniave.. Temoignage -

(٤٧) انظر المصدر السابق ٧).
(٤٨) راجع اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ص ٤١٠.

ومع ذلك فإننا نجد أن الكتاب المقدس والذي يصدر عن دار الكتاب المقدس بمصر عام ١٩٨٧م مازال يحمل بين بطونه هذه الصيغة التي تحارب من كافة اللغات والترجمات في جوانب المعمورة الأربعة، علمًا بأن ما قاله الكتاب الأمريكي الذي يحمل عنوان " هل الكتاب المقدس حقا كلمة الله» كان إشارة تنبيه للترجمات العصرية لهذا الكتاب المقدس بأنه يحمل بين دفتيه الكثير من النصوص المزورة، ونص التثليث واحد منها، لكنه يعتبر في حد ذاته من أخطر عمليات التزوير في تاريخ العقائد على الإطلاق، وخطورته تكمن في تزوير عقائد الناس التي تحدد مصائرهم الأبدية.

والسؤال الآن من المسؤول عن مصائر الملايين من المسيحيين الذين هلكوا وهم يعتقدون أن عقيدة التثليث التي تعلّموها تقوم على نص صحيح وصريح في كتابهم المقدس، بينما هو نص دخيل أقحمته يد كاتب مجهول لا يد ري أحد من هو حتى يوم الناس هذا؟ ولا يسعنا في هذا المقام إلا القول بأن القرآن الكريم صادق، وسيظل كذلك إلى يوم الدين، يوم أن أعلن أمام الدنيا كلها عن هذه النصوص المزورة وهذه الأيدي العابثة بآيات الله وعقائد الناس. قال جل شأنه: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٤٩).

ثانيًا: التوراة والتثليث

لما كانت التوراة لا تشهد إلا بتوحيد الإله -كما ذكرنا سابقا- أراد أهل الثالوث أن يتخذوا منها نصوصًا يقيموا عليها دعائم عقيدتهم، ويثبتوا للناس أن أقوالهم عن التثليث تنبع أصلاً من التوراة. ولما كان أهل التوراة

(٤٩) سورة آل عمران آية (٧٨).

لا علم لهم بهذا الثالوث أو الأقانيم، ولا يمكن أن يسمحوا لهؤلاء بالسطو على نصوصها حاول النصارى آنذاك أن يجدوا حلاً بارعًا لينتزعوا التوراة من بين أحضان أصحابها، وليضموها إلى كتبهم فابتكروا لها اسمًا جديدًا، وهو العهد القديم، ولعنوا كل من كفر بالعهد الجديد، وبذلك أخذوا التوراة إلى كتبهم بدون تدخل من اليهود ثم اتكأ وا على نصوصها بكل كيانهم ليجدوا منها الشاهد الذي يشهد لعقيدتهم، فماذا قالت التوراة، أو ماذا قالوا هم عن التوراة؟

يقول القس بسام ميخائيل، مؤلف كتاب «مطبوعات ساعة الإصلاح» بالحرف الواحد: (إن التوراة ركّزت على الواحدانية رغم علمها بأن الله ثلاثة أو مثلث؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بالوثنية. . ومع ذلك فهناك تلميحات عن الأقانيم الثلاثة أو التي تشهد بأن الله المثلث الأقانيم، ففي سفر التثنية يقول موسى للشعب: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، فتحب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك ٦ : ٤-٥)[٥٠].

وبالطبع لا يمكن فهم أين الثالوث من هذا النص إلا إذا كان المؤلف الطيب يقصد أنه لما قال أحب إلهك من قلبك ونفسك وقوتك كان يلمح للثالوث أنه تحدث عن القلب والنفس والقوة، وهذا عبث يكتب للمغتربين في لندن ولا نأخذه حجة على أحد. إلا أنه في الفقرة الثانية كان أكثر وضوحًا، فهو يقول لما تعمد يسوع: (صعد للحال من الماء وإذا بالسموات قد انفتحت له، ورأى روح الله نازلاً مثل حمامة، وآتيًا عليه، وإذا بصوت من السماء يقول هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت». ويعلق قائلاً: إن

(٥٠) كتاب مطبوعات ساعة الإصلاح: تعاليم الكتاب المقدس: القس بسام ميخائيل مدني، مدير ساعة الإصلاح، نقلا عن كتاب خواطر مسلم حول الجهاد والأناجيل والأقليات ص ١٧٦، للأستاذ محمد جلال كشك. دار ثابت للنشر والتوزيع بالقاهرة.

هذا لا يمكن فهمه بدون الإقرار التام للثالوث، أي أنه لا يمكن أن يكون الله في الحمامة وصوت قادم من السماء هو صوت الله، والله ثالث يخرج من ماء المعمودية. لا يمكن إلا بإقرار أن الله ثالث ثلاثة)[٥١]. ويبدو أن هذا الكاتب يريد أن ينهك العقول في فهم ما لا يمكن فهمه بسبب البحث عن تدعيم الثالوث، والسامع لهذا القول لا يجد أي رابطة بينه وبين ما يريده مدير ساعة الإصلاح. ومع أن البستاني يقول في دائرة معارفه ـ وصدق فيما قال ـ: (إنه لا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعاليم الثالوث)[٥٢]. إلا أن القس يسي منصور يحاول محاولة يائسة أيضاً أن يأتي بآية من التوراة فيقول على لسان يعقوب وهو يبارك حفيديه: (الله الذي سار أمامه أبواي إبراهيم وإسحق... الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم... الملاك الذي خلصني من كل شر ـ يبارك الغلامين... إذا قال يعقوب هذا كان مفهومه عند هذا القس ومن سار على دربه هكذا: شخّص يعقوب ببصره إلى الله قائلاً: الله الذي سار أمامه أبواي إبراهيم وإسحاق. وأشار للروح القدس قائلاً: الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم. وأشار للابن قائلاً: الملاك الذي خلصني من البشر... وأشار إلى الثالوث بصيغه الفرد قائلاً: يبارك الغلامين)[٥٣]. وهكذا تحمل كل كلمة في طياتها محاميل غريبة، وتلد مواليد عجيبة يستولدها هذا القس وبقية المثلثين من غير أب ولا حبَل.

ولا ندري كيف يمسك عقل الإنسان ـ أي إنسان ـ هذا الوجوه الثلاثة لله فيراه مرةً أبًا، ويراه ثانيةً ابنا، ويراه ثالثةً روح القدس، ويخاطب كل واحد منها خطاباً خاصاً بعينه، ويعنيه وحده بحاجة يلتمسها منه ويرجوها

(٥١) نقلاً عن المصدر السابق ص١٧٦ .
(٥٢) أدلة اليقين ص ٢١٣، عبد الرحمن الجزيري.
(٥٣) انظر رسالة التثليث والتوحيد ص٤٢٠ .

عنده، لا ندري كيف يكون هذا ثم يعود العقل بعد ذلك فيخاطب هذه الوجوه، ويضرب بعضها ببعض ليقيم منها وجهًا واحداً هو الله! يا أهل المشرق والمغرب، هل كان يعقوب حقًا يتعامل مع الله بهذا الأسلوب؟ هل صدقاً وقف يعقوب يفرّق الإله مرةً ثم يجمعه أخرى، ويلقاه في أول الطرق ثلاث ذوات ثم يلتقي به في آخر الطريق ذاتًا واحدة؟ فأيّ إله هذا؟ وإذا كان على هذه الصفة فأين العقل الذي يحتمل هذه المفارقات العجيبة ويؤلف بينها؟ وكلمة واحدة لا يحتمل الموقف غيرها هنا نقولها مع الأستاذ عبد الكريم الخطيب وهي: (إن التوراة والأسفار الملحقة بها لم تقل شيئًا تصريحًا أو تلميحًا من تلك المقولات التي يضيفها أصحاب التثليث ويحسبونها عليها ويعدونها حجةً سماويةً تشهد للتثليث وتقيم وجهه) (٥٤) وإنما قالت: إن الله واحد. وحتى لا نكون جناة على من يعشقون الثالوث كعقيدة إذا قلنا إن هذه العقيدة الثالوثية أربابها وأصحابها هم أهل الوثن في الديانات القديمة فلا بد أن نعرف شيئًا عن هذه الديانات الثالوثية لنتعرف على المنبع الحقيقي للثالوث في المسيحية.

ثالثًا: الشعوب القديمة والتثليث:

يرى الباحثون في الأديان أن التثليث الإلهي في المسيحية كان أصلاً من أصول المعتقدات الوثنية لدى الشعوب القديمة، وحتى نصل إلى المعرفة الحقيقية لهذا الثالوث فلا بد أن نكشف النقاب عنه لدى بعض هذه الشعوب التي كانت به تدين..؟

أولاً: البابليون والثالوث الإلهي:

لعل البابليين هم أول من قال بالثالوث، وذلك في الألف الرابع قبل

(٥٤) انظر المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص ٢٧٢، للأستاذ عبد الكريم الخطيب.

الميلاد حيث يدينون بتعدد الآلهة، ولكنهم نظموا هذه الآلهة أثلاثًا ـ كما يقول الدكتور إبراهيم مدكور ـ أي: جعلوها مجموعات متميزة المكانة والقدر، كل مجموعة ثلاثة، فكانت المجموعة الأولى على رأس الآلهة، وتتكون هذه المجموعة من إله السماء وإله القمر وإله الشمس وإله العدالة. . .[٥٥]. ولا يمكن لأصحاب الكهنوت في المسيحية آنذاك أن يكونوا في غفلة عن هذه المعتقدات لدى الشعوب البابلية.

ثانياً: الهنود والثالوث الإلهي:

عرف الهنود الإله الواحد منذ أمد بعيد، كما عرفوا التثليث وجمعوا التوحيد والتثليث مثلهم كمثل النصرانيَّة التيِّ شيدتها المجامع في المسيحية. يقول الدكتور أحمد شلبي في كتاب «أديان الهند الكبرى»: (وحول القرن التاسع قبل الميلاد وصل فكر الكهنة الهنود إلى إبراز هذه النتيجة التي تقترب من التوحيد أو تصل إليه، فقد جمعوا الآلهة في إله واحد وقالوا: إنه هو الذي أخرج العالم من ذاته، وهو الذي يحفظه إلى أن يهلكه ويرده إليه، وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء؛ فهو براهما من حيث هو موجود، وهو فشنوا من حيث هو حافظ، وهو سيفا من حيث هو مهلك، ثم يقول بعد ذلك: وهكذا فتح الكهنة الهنود الباب للمسيحيين فيما يسمى تثليث في وحدة، ووحدة في تثليث)[٥٦]. وهذا القول صدق عليه جمع غفير من العلماء الغربيين، وعلى رأسهم الأستاذ مالفير الذي (اعترف بوجود تشابه كبير بين الثالوث الهندي والثالوث المسيحي، وأضاف قائلاً: إنه ذكر في الكتب الهندية القديمة التي ترجمت إلى الإنجليزية شارحة عقيدة الهنود

---

(٥٥) تاريخ الفلسفة ص٦ د/ إبراهيم مدكور.

(٥٦) أديان الهند الكبرى ص ٤٨ د/ أحمدشلبي.

القدماء ما نصه : نؤمن بسافتري ـ أي الشمس ـ إله واحد ضابط الكل خالق السماوات والأرض ، وبابنه الوحيد أني ـ أي النار ـ ، نور من نور مولود غير مخلوق تجسد من فايو أي الروح في بطن مايا العذراء ، ونؤمن بفايو الروح الحي المنبثق من الأب ، والابن الذي هو الأب ، والابن يسجد له ويمجد) [٥٧] .

ويلاحظ هنا التشابه التام بين هذا القانون وبين قانون الإيمان المسيحي . والثالوث الهندي وهو بسافتري « الشمس» أي الأب السماوي ، وأني النار أي الابن وهو النار المنبثقة من الشمس وفايو «نفخه الهواء » أي الروح . هذا الثالوث هو أساس المذاهب عند الشعوب الهندية القديمة .

ثالثًا: المصريون والثالوث الآلهة:

يقول الأستاذ كامل نخلة : (إن الديانة المصرية القديمة كانت قائمة في أول نشأتها على عبادة الإله الواحد تثلث فيه الصفات والأعمال بأشكال مختلفة ، عبده العامة فيما بعد كآلهة ، تاركين حقائقها الأصلية الشاملة للتوحيد والتثليث)[٥٨] . وهو بهذا يريد أن يقول : إن التثليث والتوحيد الذي عرفه المصريون يعتبران حقائق أصلية شاملة ، ولكن المصريين لم يعرفوها وعرفتها المسيحية .

وأقول : إن هذا القول يدل على أن المسيحية قامت على ديانة المصريين القديمة لا على أقوال المسيح عليه السلام . ويؤكد الرجل دون أن يدري ما ذكرناه قائلاً : (وكان المصريون يؤمنون بثالوث مقدس ؛ لأن الألوهية المقدسة مع وحدانيتها تمثل شكل ثالوث ، وهذا الثالوث يتكون من أب وأم وابن ، والثالوث المصري الأوحد هو الممثل لاوزوريس وإيزيس زوجته ،

---

(٥٧) الله واحد أم ثالوث؟ ص ٨١ ، د . محمد مجدي مرجان .

(٥٨) انظر تاريخ القديس مرقس البشير ص ٨٠ .

وهو ريس ابنهـا، وأن هذا الثـالوث هو الإله الأعظم لجـمـيع مـقـاطعـات مصر)[٥٩]. وقد أكد العلاّمة جارسلاف ـ أستاذ الحفريات بجامعة أكسفورد ببريطانيا في كتاب (ديانة قدماء المصريين) ـ (وجود التماثل والتكايف التام بين الثالوث المسيحي والثالوث الفرعوني، الأمر الذي دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحي مأخوذ عن الثالوث الفرعوني) [٦٠]. وما قاله العلامة جارسلاف كريني هو الذي جعل الأستاذ فريد كامل يقول: (إن المسيحية التي نعرفها اليوم هي في الواقع المسيحية التي حورت وطورت في مصر)[٦١].

وأقول: إن الأستاذ فريد كامل قد أصاب فيما قال؛ لأن المسيحية الثالوثية كانت وليدة المجامع المسيحية والفكر المصري بقيادة بطريك الإسكندرية الذي تبنى المسيحية حتى شبت ولها انقاد الملايين.

رابعًا: الصينيون والثالوث الإلهي:

كان الصينيون يعرفون أن للكون إلهًا واحدًا مثلهم كمثل بقية الشعوب التي عرفت التوحيد، ومع مرور الزمن عرفوا التثليث؛ ولذلك يقول صاحب كتاب «النصرانية والإسلام»: (إن الصينيين يعزون إلى الفيلسوف الصيني (فوفي) أنه هو الذي ابتدع الثالوث الصيني بعد أن كانت العبادة قاصرة على الإله الواحد العظيم، إله السماء أو عظيم السماء الإله غير المنظور، ورسموا ذلك الثالوث الصيني بالعناصر الآتية:

(١) تي ين: أو الإله المجهول غير المنظور.

(٢) تي سز: الشمس والكواكب السيارة.

(٣) تشانح: أرواح الآباء والحكماء والملوك.

---

(٥٩) انظر تاريخ القديس مرقس البشير ص ٨٥. (٦٠) الله واحد أم ثالوث؟ ص ٨١.

(٦١) انظر مع المسيح في الأناجيل الأربعة ص ٤٢٤، د. فتحي عثمان.

وكان هذا الرسم على صورة مذابح - وكان المذبحان الثاني والثالث المخصصان لعبادة الأقنوميين الآخرين من الثالوث تقام حولهما الأصنام . . .)[٦٢] . ويقول صاحب كتاب «أديان العالم» : (إن هناك لدى الصينيين ثالوث آخر يعبرون عنه بمثلث متساوي الأضلاع والزوايا) [٦٣] .

خامسا: العرب والثالوث الإلهي:

يقول الأستاذ . عبد الكريم الخطيب : (إن العرب العاربة في الجنوب كانت على وثينة فلكية انتهت إلى عبادة ثلاثة كواكب هي القمر والشمس والزهرة . . . الأب والأم والابن أو الإله « ود »، والآلهة شمس، وعشتر ابنها) [٦٤] . وأقول : إن هذا الاعتقاد وإن وجد عند القبائل العربية إلا أنه لم يكن يتمتع بالشهرة التي كانت له في غير الأمم العربية، ومع ذلك فالقرآن الكريم قد نعى هذا المعتقد الفاسد وأبطله بقوله تعالى : ﴿ **لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [٦٥]

تعقيب وتعليق:

مما سبق يتبين لنا أن المنبع الأساسي للثالوث المسيحي لا يتمثل في التوراة والأناجيل، وإنما في الأديان الوثنية السابقة على المسيحية، ودليلنا على ذلك أن هذه الأديان قد وجدت قبل المسيحية بمئات السنين، ولما كان الأمر كذلك فإن البداهة العقلية تقول : إن السابق أستاذٌ للاحق، والعكس غير صحيح، خاصةً إذا علمنا أن المسيحية قد انتشرت بين أرباب هذه

---

(٦٢) النصرانية والإسلام ص ١١٨ ، للأستاذ محمد عزت الطهطاوي .

(٦٣) أديان العالم ص ٣٠٤ حبيب سعيد .

(٦٤) المسيحي في القرآن والتوراة والإنجيل ص ٢٠٨ .

(٦٥) سورة فصلت آية ٣٧ .

الأديان الذين كانت رؤوسهم ممتلئة بالفكر الوثني الذي ألفوه منذ نعومة أظفارهم، وبذلك تكون الوثنية الثالوثية لدى الشعوب القديمة قد تسللت بحق إلى ديانة السماء التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام. والملفت للنظر أن كُتّاب النصارى يعترفون في سائر كتابتهم بهذا الثالوث الوثني، إلا أنهم يحاولون بكل ما أوتوا من قوة أن يبعدوا القول بأنه المستقى الحقيقي للعقيدة المسيحية، وعلى رأس هؤلاء حبيب سعيد الذي يصرخ قائلاً: (أقول لم يأخذ المسيحيون الثالوث عن الوثنيين)[٦٦] ثم يتراجع قليلاً فيقول: (غير أن عقيدة الثالوث فى المسيحية وغيرها مستقاه من مصدر واحد)[٦٧].

وبناءً على هذا القول الثاني نستطيع أن نقول: إن المسيحين والوثنيين في العقيدة أخوة، أمهاتهم شتى وعقيدتهم واحدة. أما الديانات السماوية الصحيحة فإنها تلفظ هذه الأخوة في العقيدة؛ ولذلك لا يمكن القول بأن هذا الكاتب ومن سار على دربه يتبع ديانة سماوية، وإلا فما هي الدواعي التي تجعل صاحبنا هذا يستشهد دائمًا للثالوث من غير المسيحية؟ يقول هذا الكاتب في محاولة له للرد على هذا السؤال: (ولم أذكر هذه العقيدة عند غير المسيحيين إلا للدلالة على أن مصدرها واحد وهو الله نفسه، إنها غير موضوعة وضعًا من البشر، وإن تكن في الوثنية مشوهة مبعثرة بعيدة عن الوحدانية السماوية. واستشهادي بها إنما هو من قبل الاستدلال على الكل من الأجزاء المبعثرة، كما يستدل علماء الآثار بمثل ذلك في أبحاثهم فيستدلون من عظام حيوانات مبعثرة مع فقد بعضها على حجم ذلك الحيوان وغير ذلك من خصائصه كالديناصور، وليس الاستدلال على

(٦٦) أديان العالم ص ٣٠٤.

(٦٧) المصدر السابق ص ٣٠٤.

كمال عقيدة الثالوث من آثارها وأجزائها فى الأديان الأخرى أقل وضوحاً من الاستدلال على وجود الديناصور من آثاره وأجزاءه المبعثرة)[٦٨] .

ويبدو أن هذا الكاتب فقد اتزانه وهو يحاول أن يبعد شبح الوثنية من عقيدته، فمرة نراه يقول: إن وجود هذه العقيدة الثالوثية عند غير المسيحيين والمسيحيين دليل على أن مصدرها واحد وهو الله نفسه، وأخرى يقول: إنها عند الوثنيين مشوهة. ونسأل من الذي سلمها إليهم بهذه الصورة القبيحة هل هو الله أم غيره؟ إن كان الله هو الذي سلمها فلا بد أن يسلمها كاملةُ الصورة، جميلة الشكل، وإن كان غيره فحينئذ لا تكون سماوية ولا يصح لك أن تستشهد بها، ومع ذلك فقد استشهدت واستشهدت بماذا؟ بأجزاء مبعثرة. والغريب العجيب المريب أن هذا الكاتب نسي أنه يتحدث عن عقيدة سماوية مطهرة، وأخذ يتحدث عن أجزاء حيوانية عفنة لا صلة لها بعقائد الأنبياء؛ لأن علماء الآثار يتخذونها كفروض علمية ظنية. أما العقائد فلابد أن تكون مسلَّمةٌ إلينا بحقائق يقينية لا ظنية.

(٦٨) أديان العالم ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، حبيب سعيد.